"شفاء المشاعر المجروحة"

اختيار وإعداد فريق الكلمة

في مساء أحد أيام الآحاد أَلْقيْتُ عظةً موضوعُها "الروح القدس وشفاء المشاعر المجروحة". وكانت هذه أول محاولة لي في هذا الموضوع، ولو لم أكن مقتنعاً بأن الله أعطاني هذه الرسالة، لما استطعتُ الإقدام على تقديمها. ومن الطبيعي أن ما ذكرتُه في ذلك المساء حول شفاء الذكريات والمشاعر المجروحة كان شيئاً جديداً في ذلك الوقت، ولكنه أصبح الآن قديماً، ونجده في كتب عديدة.

وعندما وقفتُ لأتكلم نظرت إلى الحضور، ورأيت بينهم الدكتور سميث العزيز الذي كان له تأثير فعّال عليّ في أيام حداثتي. وأذكر أنه لمّا طُلب منّا أنا وزوجتي التفرغ لخدمتنا الحالية خطرت في ذهننا بعض أوجه الطاعنين في السن تهدّدنا بالإزعاج، وأحدها وجه الدكتور سميث، وقد ساءلت نفسي كيف سيتأتّى لي أن أعظه، إذ كان قد أخافني وأجهدني بوعظه لّما كنت فتىً، وما زلت أشعر بالرهبة في حضرته. ولّما رأيته بين الحاضرين في تلك العشيّة هبط قلبي، ولكني واليت تقديم الرسالة التي شعرت أن الله منحني إياها. وبعد الاجتماع، إذ عُقدت حلقة للصلاة وجد فيها الكثيرون فرصة طيّبة، لاحظت أن الدكتور سميث لبث جالساً في مكانه. وبينما كنت مشغولاً بالصلاة مع الناس رحت أصلّي في إحدى زوايا قلبي طالباً أن ينصرف. لكنه لم يفعل ذلك، بل جاء إليّ أخيراً وبادرني بطريقته الفظّة قائلاً: "هل لي أن أراك في مكتبك يا دايفد؟"

عندئذ شبّت في مخيّلتي ذكريات طفولتي، وإذا بالصبي المذعور الموجود داخلي يتبع الرجل الشيخ. وعندما جلست في مكتبي شعرت نوعاً ما بما شعر به موسى أمام منظر النار والدخان في جبل سيناء. لكنني كنت مخطئاً في تصوّراتي المتعلّقة بهذا الرجل، ولم أكن قد سمحت للتغيير أن يجري مجراه داخلي، بل جمّدت صورته في مرحلة ما ولم أدعها تنمو قطّ.

قال لي الدكتور سميث بلطف "يا دايفد، لم أسمع قطّ عظةً كهذه من قبل، لكني أود أن أقول لك شيئاً". ثمّ دمعت عيناه، لقد كان مبشّراً بارزاً طوال سنوات عديدة، وربح آلاف النفوس للمسيح، وكان عظيماً حقاً، لكنّه وهو يسترجع ذكريات خدمته استطرد قائلاً: "أتعرف؟ كانت هناك دائماً فئة من الناس لم استطع مساعدتها. كانوا أناس مخلصين وأعتقد أن الكثيرين منهم كانوا مسيحيين حقيقيين مملوئين من الروح القدس، غير أنهم كانوا يعانون من جرّاء مشاكل عرضوها عليّ، فحاولت مساعدتهم، ولكن لم تستطع النصائح ولا عبارات الكتاب المقدس ولا الصلاة معهم أن توصلهم إلى التحرر الدائم".

ثم أردف قائلاً: "كنت دائماً أشعر بالذنب في خدمتي يا دايفد، ولكنني أعتقد أنك الآن ظفرت بشيء ما. فواظب عليه وعلى إنمائه، واستمر في تقديمه، لأنني فعلاً أعتقد أن ما وجدته هو الجواب". ولّما نهض ليتركني دمعت عيناي وقلت: "أشكرك يا دكتور"، ولكنني كنت في الواقع أقول في داخلي: "أشكرك يا رب لأجل هذا التأكيد الذي أعطيتني إياه بواسطة هذا الرجل العزيز".

ar.arabicbible.com youth@arabicbible.com جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل

المشكلة:

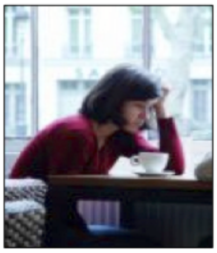

خلال خمس عشرة سنة، بينما كانت الأشرطة التي تحتوي مثل هذه العظة توزّع حول العالم، أثبتت الرسائل والشهادات صحة اعتقادي بأنّ المشاكل نوعاً يحتاج إلى صلاة مخصوصة وإلى مستوى أعمق من الشفاء بالروح القدس. ففي منزلة ما بين خطايانا من جهة وأمراضنا من الجهة الأخرى شيءٌ يدعوه الكتاب المقدّس "ضعفات".

إيضاحاً لذلك لنأخذ مثلاً من الطبيعة. فإذا زرتَ بلاد الغرب الأقصى ترى الأشجار الصنوبرية الجبّارة وشجر الخشب الأحمر. ويستطيع أحد علماء الطبيعة أن يريك شريحة هي عبارة عن مقطع عرضيّ قُطع من إحدى هذه الأشجار، ثم يشير إلى مراحل نمو تلك الشجرة عاماً بعد عام. فهذه دائرة تمثل عاماً كان فيه جفاف شديد، وهاتان دائرتان تكوّنتا في سنتين هطل فيهما المطر بغزارة، وهذه أُخرى تبيّن متى صُعقت الشجرة بالبرق، وتلك دوائر سنين النمو الطبيعي. وهذه دائرة تدل على حريق حدث في الغابة كان أن يقضي على الشجرة، وتلك تنمُّ عن آفة زراعيّة أو مرضٍ قاسٍ أصاب الشجرة. هذه الحقائق كلّها مخزونة في قلب الشجرة، وهي تمثّل سيرة نموّها الذاتيّة.

وهذه هي حالتنا نحن إذ تحت القشرة الخارجية والقناع الساتر الواقي مباشرةً قد سُجّلت حلقات حياتنا، حيث للجراح والآلام القديمة أثارها. كما حدث في حالة الصبي الذي ركض في صباح عيد الميلاد ليرى مل في داخل جراب الغيد، فوجد فيه حجراً قذراً قديماً وُضع عقاباً على تصرّف صبياني طائش أتاه. فظلّ أثر هذا الجرح يعذبه. محدثاً له صعوبات شتّى في علاقاته بالآخرين. أو كتلك المأساة التي طالما حفرت آثاراً لوّثت الحياة بمجملها، لّما استحب أخ أكبر أخته الصغيرة إلى خلوة خلف الحظيرة أو في كومة القش أو في الأحراج، حيث عرّفها خفايا الجنس، بل قل بلاياه.

وهنا أيضاً ضغط ذكرى مؤلمة مكبوتة: الجري خاف والد مدمن للخمر كان على وشك أن يقتل الأم مندفعاً ورائها وهو يشهر سكّين الجزار. فإن ندوب جروح كهذه تستر ألماً دفيناً لمدة طويلة، وتسبب ضرراً وغضباً يتعذّر تفسيرهما. ومثل هذه الآثار لا يتأثّر بالتجديد والنعمة المقدسة ولا ببركات الصلاة المعتادة.

إن الحلقات التي سُجّلت فيها ذكرياتنا الحيّة موجودة في أفكارنا وعواطفنا، وهي تؤثر تأثيراً مباشراً وبالغاً في مفاهيمنا ومشاعرنا وعلاقاتنا بالآخرين، كما تؤثّر في نظرتنا إلى كل من الله والحياة والآخرين وأنفسنا.

كثيراً ما نقلنا، نحن الوعّاظ، إلى أذهان الناس الفكرة الخاطئة بأنّ الولادة الجديدة والامتلاء بالروح القدس سيكفلان بصورة آلية حلّ عوائقنا النفسيّة.ولكن هذا ليس صحيحاً تماماً. فمع أنّ التغيير المفاجئ الذي يحدث برجوع الخاطي إلى الرب يسوع هو شيء عظيم وذو قيمة أبديّة، فهو ليس طريقاً مختصراً إلى السلامة النفسيّة. وليس هو علاجاً سريعاً لمشاكل الشخصيّة.

فمن الضروري فهم هذا أولاً حتى نستطيع أن نعيش مع أنفسنا بسلامٍ وحنوّ ونترك للروح القدس حريّة العمل لمعالجة جراحنا وارتباكاتنا. كما أننا في حاجة إلى فهم ذلك لئلا ندين الآخرين بقسوة، بل بالأحرى نصبر على ارتباكهم وتصرفاتهم المعاكسة أو المشاكسة. فإن هذا يحمينا من انتقاد إخوتنا المسيحيين والإجحاف بهم في الحكم عليهم. إنهم ليسوا مزيّفين أو محتالين أو مُرائين، بل هم بشرٌ مثلك ومثلي، يعانون من جرّاء جراح وندوب وبرمجة خاطئة تمسّ بتصرفاتهم الحاضرة.

فإدراكنا بأن حصولنا على الخلاص لا يمنحنا صحة نفسية فورية يؤتينا بصيرةً ثاقبةً لفهم معنى التقديس. إذ من المحال معرفة مدى مسيحية المؤمن على أساس تصرفاته الخارجيّة فقط.

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

أليس صحيحا أنه "من ثمارهم تعرفونهم" (متى٧: ١٦)؟ بلى، ولكنه صحيح أيضا أننا بمعرفة جذور الناس نستطيع فهمهم وعدم إدانتهم. فإليك مثلاً جان الذي قد يظهر أكثر روحانيّة وتحملاً للمسؤوليّة من أخيه المسيحي وليم. ولكن في الواقع لو أخذنا بعين الإعتبار جذور جان والأرض الجيدة التي نما فيها ومنها، فلربّما وجدنا أن وليم أكثر قداسة من جان، ولربّما كان أحرز تقدماً أكثر منه بتغير شكله إلى شبه صورة يسوع المسيح. حقاً، كم هو تصرف خاطئ وغير مسيحي أن نحكم على الناس بحسب الظاهر.

ربّ معترضاً يقول: "ماذا تفعل؟ كيف تُحدر المقاييس الرفيعة؟ لعلك تُنكر قوة الروح القدس لشفاء عاهاتنا النفسيّة؟ هل تحاول إعطاءنا ذريعة للتملّص من المسؤوليّة، بحيث ننحي بالملامة على الحياة أو الوراثة أو الوالدين أو المعلمين أو الأحبّة أو شركاء الحياة إزاء إخفاقاتنا وسقطاتنا؟ وكما يقول الرسول بولس "أنبقى في الخطيّة لتكثر النعمة؟(رومية٦: ١)".

وعندئذ أجيب كما أجاب بولس الرسول عن هذا السؤال "حاشا": فما أعنيه هو أن بعض نواحي حياتنا بحاجة لأن يشفيها الروح القدس شفاءً خاصاً، لأنها ليست موضوعاً يمكن علاجه بالصلاة المعتادة أو بالانضباط وقوّة الإرادة، بل إنها تحتاج إلى نوع خاص من التفهّم وتقتضي الكف عن إتباع سوء البرمجة القديم والتّعلم من جديد كيف نتغيّر عن شكلنا بتجديد أذهاننا ونُبرمجُ لهذا التغيّر. وواضح أن هذه العملية لا تتم بين ليلة وضحاها باختبار واحدٍ حاسم.

موقفان متطرِّفان:

إن استيعاب هذه الأمور يجنّبنا موقفين متطرّفين.فمن المؤمنين المسيحيين من يرى الشيطان وراء كل اهتزاز غير مألوف.فليُسمح لي هنا بأن أوجّه إلى المؤمنين الأحداث أو غير الناضجين كلمة لطيفة لكن وثيقة: طيلة القرون الماضية كانت الكنيسة حذرة أن تعلن أن شخصاً ما يسكنه الشيطان. والحق أن سكنى الشيطان في الأجساد أمر واقع. ففي حالات نادرة خلال السنين العديدة من خدمتي، شعرت أنني مقود لاستعمال ما في اسم يسوع من سلطة لطرد ما اعتقدت أنه روح شرير، وشاهدت التحرير والشفاء.

لكن يجب التنبه إلى أن المسيحيين المؤمنين الحذرين والمصلين والناضجين والمملوئين بالروح القدس هم وحدهم من يجدر بهم أن يحاولوا القيام بأي شيء يتعلق بطرد الأرواح الشريرة. إذ أُمضي كثيراً من الوقت في غرفة الإرشاد وأنا أحاول لملمة أشلاء أشخاص دمّرت حياتهم إذ وقعوا فريسة لأوهام كثيرة بسبب محاولة بعض المؤمنين غير الناضجين إخراج أرواح شريرة وهميّة منهم.

هذا هو الموقف المتطرّف الأول. أمّا الثاني فهو يتمثّل في تقديم الحلول التبسيطية الواضحة بتقديم هذه الوصفة المركبة المحفوظة عن ظهر قلب: "اقرأ الكتاب المقدس، صلّ، زد إيمانك. لو كنت في حالة روحيّة صحيحة لما كنت تعاني من هذه الإعاقة، وما كنت تشعر البتّة بالإكتئاب، أو تكون لديك دوافع أو مشاكل جنسية ضاغطة".

على أن من يقول مثل هذا القول إنما يكون إنساناً قاسياً جداً، يضع مزيداً من الأحمال على رأس ضحيّة متألّم يجاهد عبثاً لمقاومة مشكلة متأصّلة في شعوره، يشعر قبل الآن بالذنب حيالها. وحين يجعله الناس يزداد شعوراً بالذنب والمرارة، يضاعفون ثقل ذنبه ويأسه.

ربما سمعت قصة رجل مسافر بالطائرة، لمّا فتح وجبة غدائه الجاهزة وجد صرصوراً كبيراً فوق السلطة، ولمّا وصل إلى منزله، كتب رسالة شكوى إلى مدير شركة الطيران. وبعد أيام قليلة استلم رسالة من المدير، موجّهة إليه بالبريد الخاص، فيها يعتذر قائلاً: "هذا شيء غريب ولكن لا تقلق...ثق أننا طهرنا الطائرة برش المبيدات، ونزعنا أغطية جميع

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

المقاعد، وقمنا بتأديب المضيفة التي قدمت الوجبات، وربما تطرد من عماها. ومن المحتمل جدا آن تتوقف هذه الطائرة عن العمل، ونؤكد لك أنه لن يحدث شيء كهذا في ما بعد. وأني أرجو أن تظل واحداً من مسافرينا". تأثر هذا الرجل جداً بالرسالة، غير أنه لاحظ شيئاً بطريق الصدفة، إذ وجد الرسالة التي أرسلها هو ملصقة برسالة المدير، وقد كُتِبت في أسفلها هذه العبارة: "أجب برسالة الصرصور المعتادة".

ومراراً كثيرة نجيب نحن برسالة الصّرصور المعتادة أناساً يعانون مشاكل نفسيّة، فنقدم لهم أجوبة سطحية محفوظة مفرطة في التبسيط، تدفعهم للتردّي في مهاوي الخيبة والقنوط أعمق فأعمق.

البيّنات:

ماهي بعض هذه المشاعر المجروحة؟ واحدةٌ من أكثرها انتشاراً هي الشعور العميق بانعدام القيمة، ويتضمن إحساساً دائماً بالقلق وعدم الكفاءة الذاتية، أي هاجساً داخلياً مزعجاً ما يبرح يقول: "لست صالحاً، ولن أبلغ أية غاية، ولا أحد يعقل أن يحبني، فكل ما أفعله خطأً".

ماذا يحدث لشخص كهذه عندما يصبح مسيحياً مؤمناً؟ جزء من عقله يؤمن بمحبة الله ويقبل غفرانه ويشعر بالسلام حيناً. ثم فجأةً يثور كل ما في داخله، صارخاً: "هذا كذب. لا تصدق. لا تصلِّ. ليس في العلاء من يسمعك. لا أحد يهتم بك فعلاً. ليس من يعتقك من قلقك. كيف يمكن أن يحب الله واحداً نظيرك؟ أنت شرير جداً".

ماذا جرى؟ إن بشارة الإنجيل لم تتغلغل في أعماق ذاته الباطنة المجروحة، وهي أيضاً تحتاج إلى قبول البشارة وتأثيرها الفعّال. وندوبه الداخلية العميقة تحتاج إلى لمسة شافية إلى بلسان جلعاد.

وثمّة عاهة نفسيّة أُخرى أسميها هوس الكمال. وهي الشعور الداخلي القائل: "لن أنجز شيئاً البتّة. فأنا لست أعمل شيئاً بكفاءة مرضية، ولن أرضي نفسي ولا الآخرين ولا الله". إنسان من هذا النوع دائماً يتلمس طريقه مجاهداً وهو يشعر بالذنب، تدفعه هواجسه الداخلية المتعلقة بعمل الواجب: "يجب أن تكون لديَّ القدرة لأعمل هذا أو ذاك. ينبغي أن أكون أفضل قليلاً مما أنا عليه الآن". إنه يتسلق دوماً، ولكنه لا يصل إلى القمة.

فماذا يحدث لهذا الشخص عندما يصبح مسيحياً مؤمناً؟ إنه، على نحو مُفجع جداً، يحوّل هوس الكمال ناحية علاقته بالله فينظر إليه كشخص في أعلى السلّم، ويقول لنفسه: "سأصعد الآن إلى الله. أنا واحد من أولاده، ولي رغبة شديدة في إرضائه، قبل أي شخص آخر". وهكذا يبدأ بالصعود درجة تلو الأخرى مجهداً نفسه إلى أن تدمّى أنامله وتترضض ساقاه، حتى إذا وصل إلى القمّة التي توهّمها، تبيّن له أن الله ارتفع ثلاث درجات أكثر. ثم يصمم أن يبذل جهداً أكبر، فيتسلق ويجاهد، وإذ يصل يكون إلهه قد ارتفع ثلاث درجات أخرى، وهكذا دواليك.

منذ بضع سنوات كلّمتني هاتفياً زوجة واحد من أصدقائي يدعى وليم، وكان خادماً في حقل الرب. طلبت إليّ أن أمدّ يد الإرشاد إلى زوجها الذي كان قد أصيب حديثاً بانهيار عصبي. وفي ما كانت السيارة تقلّنا إلى المستشفى، ابتدأت تحدّثني عنه. قالت: "لست أفهم وليم، فهو يعمل كأنه مراقب عبيد لا يرحم نفسه. فلا يستطيع أن يعطي نفسه راحة أو أن يخفف عمله. هو دائماً مشغول فوق الطاقة، والذين يخدمهم يحبونه ويودّون عمل أي شيء من أجله، لكنه لا يسمح لهم بذلك.وقد استمر على هذا الحال سنوات عديدة حتى انهار كلّياً".

شرعت أعود وليم مرة تلو الأخرى، حتى إذا تحسنت حالته وأصبح قادراً على التّكلم، أطلعني على تفاصيل حياته في زمن الطفولة. أخبرني أنه عندما أصبح فتى، أراد أن يرضي والديه جداً وحاول كسب رضى والدته فكان أحياناً يعدّ مائدة الطعام. ولكنّها كانت تقول له: "وضعت السكاكين في المكان غير الصحيح يا وليم". فكان يضع السكاكين في

ar.arabicbible.com youth@arabicbible.com جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل

المكان الصحيح، ولكنها تبادره بالقول: "وكذلك الشوك أيضا"، وبعد ذلك تنتقد ترتيب أطباق السلطة. وهكذا لم يستطع وليم إرضاءها قطّ. كما حاول أيضاً بكل جهد إرضاء والده، ولكن بلا جدوى. فقد أحضر بطاقة علامته المدرسية، وكانت علامته متوسطة. فقال له والده: "إذا حاولت يا وليم، تستطيع أن تأتي بعلامات أفضل، أليس كذلك؟" واجتهد وليم أكثر حتى أحرز في أحد الأيام العلامة المرغوب فيها، فقال والده: "ولكن بالطبع أنت تعلم أنك إذا حاولت أكثر تستطيع الحصول على العلامات النهائيّة". وهكذا جاهد خلال فصل أو اثنين حتى حصل أخيراً على العلامات الكاملة. ففرح جداً بذلك وظنّ أنه بذلك سيرضي والديه. ولّما لم يطق صبراً، ركض إلى البيت ليطلع والده على البطاقة. ولكنّ الوالد قال: "أنا أعرف هؤلاء المدرّسين، فهم دائماً يمنحون التلاميذ علامات عالية".

ولّما أصبح وليم خادماً للرب استبدل بوالديه والدين كثيرين، حتى أصبحت رعيّته بمثابة أبويه اللّذين يستحيل إرضاؤهما. فلم يتمكن من إرضائها، مع كل ما بذله من جهد. وأخيراً انهار تحت عبء الجهاد للحصول على الرضا والسعي لإثبات المقدرة الذاتيّة.

أُجريت مقابلة مع عالم لاهوت شهير ممن يزعمون أنّ الله مات. سأله المراسل: "ماذا يعني لك الله؟" فأجاب:"الله؟ الله عندي هو ذلك الصوت الداخلي القائل دائماً: هذا ليس مرضياً بما فيه الكفاية".

وفي حين لم يكشف هذا "اللاهوتي" شيئاً عن حقيقة الله، فقد كشف الكثير عن نفسيّته المريضة وشخصيته المهشّمة. وعندي أن هؤلاء المرضى يطلعون بنظريات لاهوتيّة مريضة أيضاً. واأسفاه، كم تتمكن عقدة الهوس بالكمال من قهر بعض المسيحيين في حياتهم الروحيّة. بل كم أبعدت الناس عن ملكوت الله.

وهناك أيضاً نوع آخر من المشاعر الجريحة لنا أن ندعوها الحساسية المفرطة. فالإنسان ذو الحساسية المفرطة شخص أصيب في الصميم. إذ طالما طلب المحبة والرضا والحنان ولكنه حصل على عكسها، فأصيب بجروح تركت ندوباً عميقة في داخله. ولهذا يرى أحياناً أشياء لا يراها الآخرون، ويميل إلى الشعور بأمور لا يشعرون بها.

كنت سائراً في الشارع ذات مرّة ورأيت شارلي صاحب الشعور الحسّاس جداً مقبلاً نحوي. وأنا عادة أعيره اهتمامي الزائد. لكنني في ذلك الصباح كنت مشغولاً جداً، فقلت له،"مرحباً شارلي، كيف حالك؟" ومضيت في طريقي. ولّما عدت إلى مكتبي اتصل بي أحد أعضاء الكنيسة هاتفياً وسألني هل كنت غاضباً على شارلي، فقلت: "أي شارلي؟" قال: " شارلي اولسن الذي تعرفه". قلت: "لا، فمنذ قليل التقيته في الشارع". وفوراً تذكّرت أنني لم أعره انتباهاً زائداً كما كنت أفعل دائماً لعلمي أنه مفرط الحساسيّة.

هل سمعت خبر الرجل الحساس جداً الذي انقطع عن الذهاب إلى مباريات كرة القدم لأنه في كل مرّة كان يجتمع فيها اللاعبون معاً للتخطيط، كان يظن أنهم يتكلمون عليه؟

يحتاج الأشخاص المفرطو الحساسية إلى الكثير من رضا الآخرين وموافقتهم. وليس باستطاعتك أن تخصّهم كل حين باهتمام كاف. كما أنهم كثيراً ما يظهرون كأنهم عديمو الإحساس. فقد أصيبوا بأذى شديد حتى إنهم عوض أن يكونوا حسّاسين، يسترون علّتهم بالتصرفات الفظّة القاسية، وهم يبتغون الانتقام بإيذاء الآخرين. ويطوون آلامهم، وهم يدفعون الذين حولهم مسببين لهم الألم ومحاولين التّسلط عليهم. كما يستخدمون المال أو النفوذ أو المنصب أو الجنس، أو حتى المواعظ، لأذيّة الناس. أفلا يؤثّر هذا كلّه في اختبارهم المسيحي؟ بلى، إنه يؤثر تأثيراً بالغاً.

ثم نأتي إلى فئة أُخرى من الناس تساورها المخاوف، وربما كان أعظمها الخوف من الفشل. هؤلاء المعطوبون يخشون خسارة لعبة الحياة بحيث يجدون مفرّاً سهلاً منها بعدم الاشتراك فيها، فيجلسون منفردين جانباً ولسان حالهم

ar.arabicbible.com youth@arabicbible.com جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل

يقول: "إنني لا أحبّ قوانين اللعب" أو "لا أبالي كثيرا بالحكم"، أو "ليست قذفة الكرة كاملة المدى" أو "الأهداف غير صائبة".

أذكر أنّي تكلمت قبل بضع سنوات مع أحد الباعة في معرض للسيارات المستعملة. فلمّا نظرنا خارج غرفة المعرض، رأينا رجلاً يجولُ ويرفس عجلات السيارات، ثم يرفع غطاء محرك السيارات ويضرب غطاء العجلات بعنف. قال البائع بامتعاض: "انظر إلى ذلك الرجل. إنه رافس عجلات. وأمثاله ينغّصون عيشنا. يأتينا أحدهم، ويصغي إلى المحرك، فيقول: أتسمع القرقعة، مع أن أحداً سواه لا يستطيع أن يسمعها. فهم دائماً يجدون خطأً ما. ويخشى الواحد منهم أن يختار، فلا يشتري شيئاً، لأنه لا يقدر أن يقرر، ولهذا ينتحل الأعذار دائماً".

الدنيا مليئة برافسي العجلات. أناس يخشون الفشل ويخافون أن يتخذوا قراراً خاطئاً. فماذا يحدث لأمثال هؤلاء عندما يواجهون العزم على الحياة المسيحية؟ إنهم يرون في الإيمان مجازفة كبرى وصعبة جداً. فاتخاذ القرارات يشقّ عليهم، بل يشقّهم شقّاً. وهكذا يصبح الإيمان أمراً صعباً، وتصعب عليهم الشهادة أيضاً، كما أن التسليم للروح القدس والخضوع لله بالفعل يكادان أن يكونا صدمة رهيبة لهم. وما أصعب الانضباط عليهم. يعيش هؤلاء الخوّافون على التّكهن قائلين: "فقط لو كان هذا هكذا أو كذلك لكنت بخير". ولأنّ "لو" لا تتحقق أبداً فإنهم لا يحققون أهدافهم البتّة. إذاً الخائفون هم المغلوبون المتردِّدون.

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى أن موضوع الجنس يتشابك على نحو معقّد مع جميع هذه الأمور، ومع ذلك فلا بدّ من كلمة تقال فيه.

عندما كتب الرسول بولس رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، عالج جميع المشاكل البشريّة التي يستطيع الإنسان أن يتخيّلها، بل بعضاً من تلك التي لا يكاد يتخيلها. إذ تحدث عن النزاعات والانشقاقات، والدعاوي القضائيّة والمخاصمات القائمة حول الملكيّة، وبعض المشاكل الجنسيّة المختلفة من سفاح القربى إلى البغاء. وتحدّث عن العلاقات الجنسية قبل الزواج وداخله وخارجه. وكتب في الترمّل والطلاق، والنباتيّة، والسكر على مائدة الشركة المقدّسة، والتّكلم بألسنة غريبة، والموت و المآتم، وجمع التقدمات، والاهتمام بكل أعضاء الكنيسة عن كثب.

لكنه استهل رسالته بالقول أنه لم يعزم أن يعرف شيئاً بينهم "إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً" (١كورنثوس٢: ٢).هذا يعني أن إنجيلنا عمليّ جداً، ويصل إلينا حيث نعيش. وقسم كبير من هذه الرسالة يُعنى بالمشاكل الجنسيّة.

وحيث أن الكثيرين، ولا سيّما في بلاد الغرب، شبّوا على عدم ضبط النفس وقلّة الاحتشام وعلى الشهوات الحسيّة، فنحن نعيش في كورنثوس حديثة. وقد يصعب في مجتمعات كهذه أن يصل الفرد إلى سن الرشد دون أن تكون شخصيّته قد تضررت تضرراً ما من الناحية الجنسيّة.

يتجه فكري إلى عشرات الناس الذين يأتون إليّ طلباً للمساعدة. أذكر سيدة قادت سيارتها وقطعت حوالي ١٨٠٠كلم تتكلم معي بعد أن سمعتني أتكلم في الكنيسة التي ترتادها. وأذكر رجلاً جاء أخيراً إلى مكتبي وقال أنه دار بسيارته إحدى عشرة مرّة حول الكنيسة حتى استجمع شجاعته لرؤيتي. وقد كان هذان الشخصان مسيحيين حقيقيين، وكانا يصارعان ميولاً إلى اشتهاء النظير.

وأذكر قصة شابة من جامعة بعيدة قمت فيها بخدمات تبشيرية لفترة ما. وحتى الآن لا أعرف ملامح وجهها لأنها حولته عنّي وأدارت ظهرها لي. إذ غطّت وجهها بمعطفها وهي جالسة في الزاوية تبكي. أخيراً قالت: "إني أحتاج للحديث

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل

إلى شخص آخر قبل آن أنفجر". ثم سردت عليّ وهي متجهة نحو الزاوية تلك القصة المحزنة التي نسمع الكثير مثلها في هذه الأيام عن أبيها الذي كان يعاملها معاملة الزوجة لا معاملة الابنة.

في ذهني عشرات الشبان والشابات الذين تشرّبوا كثيراً من الأفكار المغلوطة والمضرّة من قبل والدين ومبشّرين حسني النيّة لكن غير مدركين. والآن هم غير صالحين للزواج، وليس بإمكانهم إن يكونوا أزواجاً أو زوجات يعيشون بلا خوف وبلا شعور بالذنب أو بالعار. إنهم مجروحون، نعم بل مجرَّحون.

أفي الإنجيل رسالة لهؤلاء الذين يعانون من مختلف المشاعر المجروحة؟ إذا كان الإنجيل لا يقدّم الشفاء لجميع هؤلاء، فالأفضل أن نغلق أبواب كنائسنا ونكف عن تمثيل دور المسيحيين المؤمنين، ونطبق شفاهنا عن التحدُّث"بالبشارة" التي نحملها.

الإصلاح الإلهي:

ألدى الله إصلاحات تنفعنا؟ نعم لديه طبعاً. كتب بولس الرسول إلى المؤمنين المسيحيين في رومية أنّ الروح القدس "يعين ضعفاتنا" (رومية ٨: ٢٦). وللكلمة "يعين" مدلول طبّي يفيد المساعدة التي تقدمها الممرضة في طور النقاهة، أي أن الروح لا يسندنا من الخارج فقط، بل يصبح شريكاً ومساعداً لنا، يعمل على شفائنا إذ يقوم بمؤازرتنا ومساندتنا فيما نؤدي نحن دورنا المطلوب منا.

وما هو دورنا في علاج مشاعرنا المجروحة؟ حقاً إن الروح القدس هو المرشد الإلهي والطبيب السماوي الذي يهتم بمشكلتنا من أحد طرفيها. ولكنّ موقعنا نحن في الطرف الآخر. فما الذي يجب علينا نحن عمله في عمليّة الشفاء هذه؟ هذا هو ما يهدف إليه هذا الكتاب الذي ستجد فيه اقتراحات كثيرة وأنت توالي قراءته. ولكن لأقدم هنا المبادئ الكتابيّة العامة التي يجب اتّباعها لبلوغ الشفاء من المشاعر المجروحة:

١- واجه مشكلتك بكلّ ثبات. عليك، بأمانة خُلُقيّة تامة وبنعمة الله أن تواجه تلك الذكرى الطفوليّة المخيفة الدفينة، مهما كانت متغلغلة داخل مشاعرك.اعترف بها في قرارة نفسك، اعترف بها أمام إنسان آخر. فبعض المشاكل لا يُحلُّ ما لم يُعترف به أمام الآخرين. "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلاّت وصلّوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا" (يعقوب٥: ١٦). ويخفق بعض الناس في الحصول على الشفاء الداخلي في أعماقهم لأنهم لا يجرؤون على إطلاع شخص آخر على مشاعرهم الدفينة.

٢- تحمّل مسؤوليتك في المشكلة. ربما تقول "كنت أنا الضّحيّة. فقد أخطأوا إليّ وأنت لا تعرف ما حدث لي". هذا صحيح. ولكن ماذا كانت ردّة فعلك؟ وماذا تقول في كونك قد تعلمت أن تكره وتستاء وتغضب أو تهرب إلى عالم خياليّ؟

أو ربما تقول: "لم يقل لي والديَّ شيئاً عن الجنس. ثم كبرت، وخرجت إلى هذا العالم الشرير بريئاً وغرّاً فتورطت في المشكلة". نعم هذا ما حدث في المرّة الأولى. ولكن يا ترى من هو المخطئ في المرّة الثانية والثالثة؟ إن الحياة أشبه بقماشة مطرّزة نسجها النّول والمغزل بسداها ولُحمتها. فالوراثة والبيئة وجميع اختبارات الطفولة مع الوالدين والمعلمين والرفاق، وجميع عقبات الحياة، كلّها في جانب من النول، وهي تجيز إليك المغزل. ولكن اذكر أنك أنت تعيد إدخال المغزل في النول. هذه العمليّة وضمنها ردّات فعلك، تنتج مطرّزة حياتك بما فيها من رسوم. إذاً أنت مسؤول عن تصرّفاتك، ولن تحصل على شفاء مشاعرك الجريحة ما لم تكفّ عن توجيه اللوم إلى الآخرين وتعترف بمسؤوليتك.

٣- اسأل نفسك: هل تريد أن تبرأ. هذا السؤال وجّهه الرب يسوع إلى الرجل المصاب بمرض لمدّة ثمان وثلاثين سنة (يوحنّا٥: ٦). أحقاً تريد أن تبرأ، أم تريد فقط أن تتحدث عن مشكلتك؟ أتريد استخدام مشكلتك للفوز بعطف

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

الآخرين؟ أم تريدها كعكاز تتوكأ عليه وأنت تعرج؟ قال الرجل المريض ليسوع: "يا سيد، ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرّك الماء بل بينما أنا آت ينـــزل قدامي آخر". ولم ينظر في أعماق قلبه ليرى هل كان حقّاً يريد الشفاء.

إننا نعيش في عصر يدعوه بعضهم "عصر التراشق بالحماقة" حيث يلوم كل واحد الآخر عوضاً عـــن المواجهـــة مسؤولياته الخاصّة. اسأل نفسك أحقاً تريد أن تبرأ. وهل أنت مستعد لتحمّل مسؤوليتك في الأمر. كثيراً ما خـــدمت في أوساط الطلبة الجامعيين طوال سنين،وقد وجدت ما جعلني أُسائل نفسي: ماذا تعني درجة "ب.آ" فعلاً ــ"بكـــالوريوس آداب" أو "براعة اعتذار"؟

٤- سامح كلّ من كان لـه دورٌ في مشكلتك. إن مواجهة المسؤولية ومسامحة الآخرين هما وجهان لقطعة نقد واحدة. والسبب الذي يحول بين بعض الناس والمسامحة، هو أن المسامحة تسحب البساط الأخير من تحت أقـــدامهم، وعندئـــذ لا يجدون مَنْ ينحون عليه باللوم. إن مواجهة المسؤولية والمسامحة هما تقريباً عمل واحد، وأحياناً ينبغي إتمامهما معـــاً في آن واحد. وقد أوضح يسوع بجلاء أن لا شفاء دون مغفرة من الأعماق.

٥- سامح نفسك. يقول الكثيرون من المسيحيين المؤمنين: "أعرف أن الله غفر لي، لكني لا أقدر أن أغفر لنفسي البتّـــة". وهذه العبارة متناقضة. كيف تؤمن أن الله غفر لك، ثم لا تغفر لنفسك؟ عندما غفر الله خطاياك يدفنها في أعمـــاق بحـــر الغفران والنسيان،وكما تقول كوري تن بوم (Corrie Ten Boom): "ثمّ يضع على الشاطئ لافتة تقول: "ممنوع الصيد". ليس لك حق أن تصيد أية أخطاء غفرها الله ونسيها. فقد وضعها وراء ظهره. إنه لسر غامض أن ينسى الله خطاياك وهو العليم بكل شيء. أفلا تستطيع أنت أن تغفر لنفسك؟

٦- أطلب أن يريك الروح القدس مشكلتك الحقيقيّة، وكيف يجب أن تصلّي لأجلها. قال الرســول بـــولس في (رومية٨: ٢٦): "لأننا لسنا نعلم ما نصلّي لأجله لكن الروح القدس يشفع فينا بأنّات لا ينطق بها".وأحيانـــاً يـــستخدم الروح القدس مساعداً مؤقّتاً بهيئة مرشد بشري يساعدنا حتى نرى المشكلة على حقيقتها. ويفعل الروح القـــدس هـــذا أحياناً من خلال كلمة الله أو عن طريق حادثة تنبهنا إلى المشكلة الحقيقيّة في حياتنا. فإنه من المهم معرفة المشكلة الحقيقيّة وكيف نصلّي لأجلها. ويذكّرنا يعقوب في رسالته أننا أحياناً لا ننال لأننا نطلب رديئاً (يعقوب٤ : ٣). فربّما كان لزاماً أن نستعين بمرشد أو راعٍ أو صديق. حينئذ تستطيع أن تصلّي مع هذا الشخص كي يبيّن لك الـــروح القـــدس حاجتـــك الحقيقيّة.

أسمعت قصّة هنري فورد (Henry Ford) وشارلي ستيمتز (Charlie Steinmetz)؟ كان ستيمتز قزمـــاً بـــشعاً ومشوّهاً لكنه كان يملك عقلاً من أكبر العقول التي عرفها العالم في حقل الكهرباء. وقد بنى ستيمتز المولدات الكهربائيّـــة العظيمة لمصلحة هنري فورد في مصنعه الأول في ديربورن بولاية ميشيغن الأمريكيّة. وذات يوم تعطلت هذه المولّـــدات وتوقف المصنع. فاستدعى المسؤولون ميكانيكيين عاديين أو مساعدين لكنهم لم يستطيعوا تـــشغيل المولـــدات، وكـــانوا يخسرون أموال طائلة بسبب توقف العمل. حينئذ دعا فورد ستيمتز، فجاء العبقري وبدا كأنه يعبث ويجول لمـــدة بـــضع ساعات، ثم أدار المفتاح فعاد مصنع فورد الضخم إلى العمل.بعد بضعة أيام استلم فورد فاتورة من ستيمتز بلغت قيمتـــها عشرة آلاف دولار. ومع أن فورد كان ثرياً جداً، فقد أعاد الفاتورة مع هذه الملاحظة، "أليست الفاتورة باهظة قليلاً يـــا شارلي، لقاء بضع ساعات جلت فيها وقمت بعمل السمكري حول هذه الموتورات"؟

فأعاد ستيمتز الفاتورة إلى فورد وقد كتب عليها "لقاء عمل السمكري حول الموتورات عشرة دولارات ولمعرفة مكان السمكرة تسعة آلاف وتسع مئة وتسعون دولاراً، فيكون المجموع عشرة آلاف دولار". فما كان من هنري فـــورد إلا أن دفع المبلغ المطلوب.

ar.arabicbible.com youth@arabicbible.com جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل

إن الروح القدس يعرف أين يعمل. فنحن لسنا نعلم ما نصلي لأجله. ومرارا كثيرة لا نحصل على استجابة لصلواتنا لأننا نطلب الأشياء الردية، ففيما تقرأ الفصول التالية، أطلب أن يعلن لك الروح القدس ما تحتاج إلى معرفته عن نفسك، وأن يرشدك في صلواتك.

ar.arabicbible.com youth@arabicbible.com جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل